

الذئبية

للكاتبة الإنجليزية كاترين منسفيلد
يقدم الأستاذ عبد الحميد حمدي

جالس الشيخ ووديفيلد
على كرسية المريح يدخن
السجائر الذي قدمه إليه
صديقه ، وينظر نظرة ،
يكاد يبدو فيها أثر الشره ،
الى ذلك الصديق الذي
يدور فوق كرسي مكتبه
معتدل القامة أحمر الوجه ،
فهو وإن يكن أكبر من
صنيفه سنًا بخمس سنوات

إلا أنه لا يزال قوياً ولا يزال قابضاً على الدفة ،
وإن الانسان لينتمش بالنظر إليه . ثم قال الشيخ
بصوته الصفيري في شيء من اللباقة والاعجاب :

« نعم ، يشهد الحق أن هذا المكان هائل »
صرخ !

فقال المدير ، وهو يفتح صفحات جريدة
فينفشيال تيمس بمقطع الورق :

« نعم ، إنه صريح بالقدر الكافي »
وواقع أن الرجل كان نخوراً بغرفة مكتبه ،
وكان يحب أن يعجب بها الناس وبخاصة صديقه
المعجوز الشيخ ووديفيلد . ولقد كان من أشد
بواعث شغور الرضى العميق الثابت في نفس
المدير أن يجلس معتدلاً وسط هذه الغرفة متعرضاً
تعرضاً تاماً لنظر صديقه الشيخ الضعيف القابع في
ذلك الكرسي الكبير الذي يكاد يخفيه عن العيون
وقال المدير موضحاً كما وضع في الأسابيع الماضية
التي لا يذكر عددها :

« لقد أعددت هذه الغرفة أخيراً أعداداً
جديداً ، فهذه سجادة جديدة » ، وأشار إلى
السجادة الحمراء الزاهية ذات الرسوم والدوائر
البيضاء الكبيرة ثم قال :

قال مستر ووديفيلد في صوت يشبه الصفير :
« إنك هنا مستكمل جميع أسباب الراحة
والرفاهة . . . »

وكان مستر ووديفيلد جالساً على كرسي كبير
من النوع المريح من الجلد الأخضر ، إلى جوار
مكتب صديقه المدير ، وأطل مستر ووديفيلد ،
وهو يوجه هذه الكلمات إلى صديقه ، من كرسية
كما يطل الطفل من عربته ، وبهذه الجملة ختم
حديثه معه ، وقد آن موعد انصرافه ، ولكنه
لم يكن راغباً في الانصراف ، فهو منذ أن استقال
من عمله ، أو بمباراة أخرى منذ أن أضرب عن
العمل ، اعتادت زوجته وبناته أن يجلسنه في البيت
طوال أيام الأسبوع ما عدا يوم الثلاثاء ، ففي يوم
الثلاثاء يسمح له بارتداء ملابسـه واصلاح هندامه
والخروج إلى طرقات المدينة ، حيث يقضي النهار كله
أنى شاء ، ولكن لم يكن في مقدور زوجته وبناته أن
يتخيلن ما يعمل في أثناء غيبته عن البيت ، على أنهن
كن يفترضن أنه يزور بعض أصدقائه فيضايقهم
بأحاديثه . . . وقد يكون هذا الافتراض مطابقاً للواقع
والحق أننا لننشبت بمسراتنا الأخيرة كما
تنشبت الشجرة بأوراقها الأخيرة أيضاً ، وهكذا

« هذا هو الدواء ، ولقد قال لى الرجل الذى أخذته منه ، فى لهجة التوكيد ، إنه جاء به من مخازن قصر وندسور »

فلم يقع نظر الشيخ ووديفيلد على الزجاجاة حتى ففرقاه ؛ ولم يكن ليدهش أشد مما دهش لو أن صاحبه أخرج بدل الزجاجاة أرنبا
وقال فى لهجته الصغيرية :
« أليس ذلك هو الوسكى ؟ »

فأدار صاحبه الزجاجاة وأراه رمز مصنمها فقد كانت بالفعل زجاجاة وسكى

وقال ووديفيلد وهو يحدق النظر فى صاحبه :
« أتعرف أنهم فى البيت لا يسمعون لى بتدوق الوسكى ؟ »

وبدا عليه كأنه يكاد يصيح من شدة الفرح .
وقال صاحبه رافعا صوته :

« آه ... هذا هو الموضوع الذى نعرف فيه أكثر قليلا من السيدات »

ومال نحو قدحين كانا على السائدة مع زجاجاة الماء فصب فى كل منهما كمية وافية من الوسكى وقال :
« اشرب هذا فسيفيدك جدآ ، ولا تترجبه بشيء من الماء ، فمن الخسارة إفساد مثل هذه المادة المقدسة . آه ! »

ثم جرع كأسه وتناول مندبله فسح شاربيه مسرعآ ، ونظر من طرف عينيه إلى ووديفيلد الذى كان يداعب قدحه بشفتيه

وشرب ووديفيلد القدح دفعة واحدة ، وبقي لحظة سامتا ، ثم قال فى صوت خافت :
« إنه شديد الرائحة »

ولكن الحمر دفأته وأعادت قوة التذكر إلى رأسه البارد المعجوز — فتذكر وقال وهو يرفع نفسه ليقف على قدميه :

« وأثاث جديد »
وأشار برأسه إلى المكتبة الكبيرة والسائدة ذات الأرجل الملتوية ذات اللون المسلى ، ثم قال :
« ومدافىء كهربائية »

ولوح بيده مبتهجآ نحو الخمس الأمايب الشفافة المضئئة باللون الأحمر اللطيف داخل جهاز من النحاس ذى رفرف كالمظلة فوق هذه الأمايب

ولكن الرجل لم يوجه نظر ووديفيلد إلى الصورة الفوتوغرافية المعلقة فوق المكتب والتى تمثل فتى عابس الوجه ، واقفا فى لباسه المسكرى ، وسط واحدة من تلك الحدائق الخيالية التى يعمدها المصورون فى دورهم ، وراءه سحب متكاثفة هى كذلك من صنع الخيال . ولم تكن هذه الصورة جديدة فى مكانها هذا ، فهى معلقة فيه منذ أكثر من ست سنوات

وقال ووديفيلد المعجوز :
« كان عندى ما أردت أن أقوله لك »
وهنا ظلمت عينيه غشاوة الذكري ثم قال :
« والآن لا أكاد أذكر ما كنت أريد أن أقول فما هو يا ترى ؟ لقد كان فى رأسى عند ما غادرت بيتى صباح اليوم »

وبدأت يده ترتجفان وبدأت يقع حمراء على لحيته فرماله صاحبه وأشفق عليه وقال فى نفسه :
إن هذا الصديق المسكين قد بذل أقصى جهده فى الحديث ، ثم غمز له بيمينه وقال مازحا :

« سأخبرك أما بهذا الأمر . فإن عندى هنا قطرة من شيء ينفعك قبل أن تخرج إلى صقيع الطريق مرة أخرى . وهو مادة لطيفة لن تضر طفلا صغيرآ »
وأخذ مفتاحا من حلقة مفاتيحه وفتح دولا با تحت مكتبه وأخرج منه زجاجاة مضلمة داكنة اللون وقال :

على قبور أعزائنا فقد وجب أن ندفع كل ما يطلب منا دفعه ، هذا هو تفكيرهم »

وأبجى الشيخ صوب الباب

وقال المدير في صوت مرتفع وإن لم تكن في رأسه أية فكرة عما هو هذا الحق :

« نعم هذا حق ! نعم هذا حق ! »

وخرج الرجل من وراء مكتبه وتبع صاحبه في خطواته البطيئة حتى أوصله إلى الباب . وخرج ووديفيلد فغاب عن الأنظار

ووقف صاحب المحل لحظة طويلة ينظر إلى غير شيء . بينما « ساعى » المكتب الأشيب الشعر يرقبه من مكانه في احتراس شديد ، يخرج رأسه بحذر ثم يعيده كالكتاب الذى يتوقع أن يأخذه صاحبه معه في مرحلة طويلة . ولم يلبث سيده أن قال له : « لا أريد أن أقابل أحداً لمدة نصف ساعة ..

هل فهمت ؟ لا أريد أن أقابل أحداً مطلقاً »

« ليكن ما تريد يا سيدي »

وأقفل الباب ، واجتازت الخطوات الثابتة الثقيلة السجادة الزاهية مرة أخرى ، وارتدى الجسم السمين فى الكرسي اللواحي ، ومال الرجل إلى الأمام نخبثاً وجهه بين كفيه . لقد أراد ولقد اعتزم بل لقد أعد عدته للمكاء . . .

لقد كانت الصدمة قاسية فظيمة عندما فاجأه الشيخ ووديفيلد بملاحظته على قبر ابنه . فلقد كان الأمر تماماً كما لو أن الأرض قد فتحت ورأى ابنه فى قبره وبنات ووديفيلد ينظرن إليه . لأن المسألة كلها كانت غريبة فانه وإن كان قد مضى ست سنوات على موت ابنه ، إلا أنه لم يتصوره إلا راقداً فى لباسه العسكري لم يصبه تغير ولا تشوه ، وإن هى إلا نومة الأبد الهادئة

وقال المدير منتحباً : « ابني ! »

« هاك ما أردت أن أقول ، فقد ظننت أنك تود أن تعرف أن البنات قد ذهبن إلى الباجيك فى الأسبوع الماضى ليلقين نظرة على قبر ريجيى المسكين ولقد تصادف أن رأيت كذلك قبر ابنك ويبدو لى أن القبرين متجاوران »

ووقف الشيخ ووديفيلد عن الكلام ولكن صاحبه لم يجبه ، غير أن رمشة جفنيه أنبأت بأنه قد سمع وقال الشيخ فى صوته الرفيع :

« وقد ابتهجت البنات بما رأين من العناية بالمكان ، ولو كانت هذه القبور فى الجحرا لما كانت بأحسن حالا مما هى عليه هناك . وما أحسبك قد ذهبت إلى ذلك المكان ؟ »

فأجاب الرجل : « لا . لا . »

وهو لأسباب عديدة مختلفة لم يسافر إلى الباجيك فقال ووديفيلد فى صوت مرتجف :

« إن مساحة المكان تبلغ عدة أميال وكلها

نظيفة منسقة كالحديقة ، والأزهار تنمو على جميع القبور . وهناك طريق واسمة جميلة »

وقد ظهر من نبرات صوت الشيخ مبلغ حبه للطريق الجميلة الواسعة ، وسكت الشيخ ووديفيلد مرة أخرى ثم ابتهج ابتهاجا غريباً وقال فى صفيه المتاد :

« أتدرى كم تقاضى الفندق البنات ثمناً لملبة الربى ؟ لقد تقاضاهن عشرة فرنكات ! وإني لأسمى ذلك سرقة . ولقد كانت الملبة صغيرة كما تقول جرترود ، لا يزيد حجمها على حجم نصف الريال الانجليزى ، ولم تكن قد أخذت منها أكثر من مائة صغيرة عندما تقاضوها المشرة الفرنكات .

لذلك أخذت جرترود الملبة وجاءت بها معها لتلقى عليهم درساً . وهذا حق أيضاً ، فان هؤلاء القوم يتاجرون على حساب عواطفنا . فهم يظنون أننا مادمننا مضطرين لأن نذهب إلى هناك لتلقى نظرة

ولكن عينيه لم تذرفا الدمع بعد ، وقد كان في الماضي ، في الأشهر الأولى وحتى في السنوات الأولى بعد موت الفتى ، يكفي أن يذكر ابنه ليستولى عليه من الحزن ما لا يمكن أن يخفف من قسوته إلا نوبة حارة من البكاء المر ، وكان يقول إذ ذاك ، لكل إنسان : إن الوقت لا يستطيع أن يبدل من حاله تلك ، وإن غيره من الرجال قد يشفون من أحزانهم ، وقد ينسون الخسارة التي أصابهم ويتمزجون عنها . أما هو فلن يكون ذلك شأنه أبداً ، وإن يبدل الزمن من حاله بأهناً منها ، وهل كان من الميسور أن يبدل حاله ؟ لقد كان ابنه ولدًا وحيداً ، ومنذ ولادته شرع أبوه يؤسس له هذا العمل الذي يقوم عليه ، ولم يكن لعمله هذا من معنى إن لم يكن مقصوداً منه أن يبقى للصبي الصغير يقوم عليه بعد أبيه ؛ بل إن حياة الرجل نفسها لم يبدلها من معنى آخر غير ذلك ، فهو إنما يحيا من أجل ولده الصغير ، وأى شيء على وجه الأرض كان يحمله على أن يستعبد نفسه ، ويشكر ذاته ، ويواصل العمل طوال هذه السنوات ، لولا الأمل المائل أمامه دائماً في أن يرى ابنه يدرج في تعليمه ، ويرتدى لباسه ، ويواصل العمل من حيث يتركه هو ؟ وكان هذا الأمل على وشك أن يتحقق ؛ فلقد قضى الفتى سنة قبل الحرب ، في مكتب أبيه ، يتدرب على الأعمال الأولية . فكان الأب وابنه يذهبان معاً كل صباح إلى المكتب ، وبعد انتهاء العمل يعودان كذلك معاً في قطار واحد ، وما أكثر ما تلقى الأب من التهنئات بصفته والداً لهذا الولد الناجح ، ولا عجب في ذلك ؛ فلقد كان الغلام مبدعاً حقاً في إتقان عمله ، ولم تعاق به في أية ناحية من نواحيه شائبة الغرور الذي يتلف خالق من كان في مثل مركزه ؛ بل لقد كان على

العكس من ذلك ، غلاماً سمحاً مشرقاً ، طبعي الخلق ، يخاطب كل إنسان برأيه الصريح فيه ، في عينيه نظرة الطفولة البريئة ، وقد تعود أن يجيب على ما يطالب منه بكلمات الطاعة المؤدبة . ولكن كل ذلك قد انتهى وتلاشى كأنه لم يكن من قبل ؛ فقد جاء اليوم الذي حمل فيه الخادم « ماسي » إلى سيده الرسالة البرقية التي هدمت المحل كله على رأسه ، وقد استهات تلك الرسالة بهذه الكلمات : « يؤلنا أشد الألم أن نبلاغك ... » وترك الرجل مكتبه ، مكسور القلب ، محطم الحياة . كان ذلك منذ ست سنوات مضت . . . نعم منذ ست سنوات . . . فما أمرع أن مر الزمن ؛ وكان ما حدث قد حدث في الأمس القريب . . . وأزاح الرجل كفيه عن وجهه وقد علت له الحيرة فقد خيل إليه أن في نفسه شيئاً غير سليم ، وقد أعوزه الشعور الذي أراد أن يشعر به . فاعتزم أن يقف وينظر إلى صورة ابنه الفوتوغرافية . ولكنها لم تكن إحدى الصور التي يحبها ، فنظرة الغلام فيها لم تكن طبيعية بل لقد كانت نظرة جامدة ، بل كانت نظرة عابسة متجهمة ، وهي نظرة لم يرها أحد قط من قبل على وجه الصبي في هذه اللحظة رأى الرجل أن ذبابة قد سقطت في الدواة الكبيرة وأنها تجاهد في ضعف ولكن جهاد المستبثس لتخايف نفسها من الشريك الذي وقعت فيه وكأنما كانت أرجاءها المتخبطة تنادى : المون ! المون ! ولكن جوانب الدواة كانت مبللة زلقة فسقطت الذبابة مرة أخرى في الحبر وشرعت تسبح فوق سطحه . فتناول المدير قلمه والنقط الذبابة فوضعها فوق ورق النشاف . فبقيت نصف ثانية جامدة لا تتحرك فوق البقعة السوداء التي ارتسمت حولها . ثم تحركت رجلها الأمامية وارتكزت على الأرض ، فجرت جسمها المبال جراً

فترة انتظار موحمة ولكن صه . . . فيها هما الساقان
الأماميتان تعودان الى الحركة ، وشعر الرجل بارتياح
مفاجئ ، فأنحنى على الذبابة وقال يخاطبها في رقة
ولطف : « أيتها المخلوقة الصغيرة المجتهدة . . . »
وحاول فعلاً أن يساعد لها بأنفاسه في تخفيف نفسها
ولكن على الرغم من ذلك كانت حركاتها في هذه
المرّة ضعيفة بطيئة ، وقرر المدير وهو يفهم قلبه
في الخبر مرة أخرى أن تكون هذه آخر مرة
ولقد كانت بالفعل آخر مرة ، فقد سقطت
نقطة الخبر الأخيرة على ورق النشاف ، فرقدت
الذبابة القذرة تحتها جامدة لا تتحرك ، وقد انصهت
أرجاءها الخلفية بجسمها ، أما الساقان الأماميتان
فقد اختفتا عن النظر

فقال الرجل : « هلم ... استيقظي ! »
وحاول أن يشير بقلبه حركة الذبابة ، ولكن
عشياً — فلم تتحرك ولم يعد من اليسور أن تتحرك
لقد ماتت الذبابة
فرفع الرجل الجثة على طرف مقطع الورق ،
وألقى بها في سلة المهملات . ولكنه في هذه اللحظة
أحس بشعور ساحق من التعاسة يستولى عليه عنيفاً
حتى لقد تملكه خوف حقيقى ، فهم من مكانه
وضغط زر الجرس طالباً خادمه « ماسى »
فلما جاء الخادم قال له في لهجة حادة :

« جئنى بورق نشاف جديد واخصه جيداً »
وبينما الخادم يسير عائداً في خطواته الثقيلة أخذ
المدير يسائل نفسه في حيرة : فى أى شىء كان يفكر
من قبل ؟ ماذا كان الموضوع الذى شغل رأسه ؟
لقد كان يفكر ... وتناول منديل من جيبه فدهسه
بين عنقه وياقته . . . فلقد نسي نسياناً تاماً فى أى
شىء كان يفكر ...

عبد الحميد محمدى

حتى رفمته قليلاً ، وعندئذ بدأت المهمة الكبرى
مهمة إزالة الخبر عن جناحيها ، فكانت رجلها
ترتفعان وتهبطان محتكيتين بالجناحين احتكاك حجر
المسن بالنجل ، ثم وقفت هذه العمالية لحظة ، وبدأت
الذبابة واقفة على طرفى رجلها الأماميتين ، وقد
اجتهدت فى نشر أحد جناحيها ثم نشرت الجناح
الآخر ، وقد نجحت فى محاولتها ، وجلست أشبه
ماتكون بالقطيطة محاولة تنظيف وجهها . وابتصورت
الانسان منظر الرجلين الأماميتين تحتك إحداهما
بالأخرى فى خفة وابتهاج . فقد انتهى الخطر
الفظيع ، وقد نجت الذبابة من الموت واستمدت
مرة أخرى لمواجهة الحياة

ولكن فى هذه اللحظة بدت لصاحب المحل
فكرة طارئة ، ففهم قلبه مرة أخرى فى الخبر
ووضع قبضته الغليظة على ورق النشاف ، ولم تك
الذبابة تحرك جناحيها محاولة الطيران حتى غمرتها
نقطة خبر كبيرة ثقيلة . فماذا عساها أن تفعل فى
هذا الخطر الجديد ؟ نعم ماذا عساها أن تفعل !
لقد بدا على المخلوقة التعيسة أنها قد ذهلت وأصابها
الحيرة واستولى عليها الخوف من الحركة جزعاً مما
قد يدهما بعد ذلك . ولكنها لم تلبث أن جرت نفسها
الى الأمام وكأنما كانت تفعل ذلك فى شىء من البطء
وقال الرجل فى نفسه إن هذه الذبابة شيطان
صغير جرىء ، وشعر بأعجاب حقيقى بشجاعتها .
فهذه هى الطريق التى يجب أن تعالج بها المشكلات
هذا هو الروح القوى السليم . لا تقل أبداً
« أموت » فما هى إلا مسألة . . . ولم يكن لدى
المدير من الوقت ما يتسع لأكثر من إعادة غمس
قلبه فى الخبر وسكبه مرة أخرى على الذبابة التى
كانت قد نظفت جسمها مرة ثانية وقال فى نفسه :
« وماذا أنت فاعلة فى هذه المرة ؟ » وتبع ذلك